تفسير إبن كثير

وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ

(وما وجدنا لأكثرهم) أي : لأكثر الأمم الماضية (من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) أي : ولقد وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والامتثال . والعهد الذي أخذه عليهم هو ما جبلهم عليه وفطرهم عليه ، وأخذ عليهم في الأصلاب أنه ربهم ومليكهم ، وأنه لا إله إلا هو ، فأقروا بذلك ، وشهدوا على أنفسهم به ، فخالفوه وتركوه وراء ظهورهم ، وعبدوا مع االله غيره بلا دليل ولا حجة ، لا من عقل ولا شرع ، وفي الفطر السليمة خلاف ذلك ، وجاءت الرسل الكرام من أولهم إلى آخرهم بالنهي عن ذلك ، كما جاء في صحيح مسلم يقول االله تعالى : " إني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم " . وفي الصحيحين : " كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه " الحديث . وقال تعالى في كتابه العزيز : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) [الأنبياء : 25] وقال تعالى : (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون

الرحمن آلهة يعبدون) [الزخرف : 45] وقال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا االله واجتنبوا الطاغوت) [النحل : 36] إلى غير ذلك من الآيات .وقد قيل في تفسير قوله تعالى : (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) ما روى أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب في قوله : (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) قال : كان في علمه تعالى يوم أقروا له بالميثاق ، أي : فما كانوا ليؤمنوا لعلم االله منهم ذلك ، وكذا قال الربيع بن أنس ، واختاره ابن جرير .وقال السدي : (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) قال : ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمنوا كرها .وقال مجاهد في قوله : (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) هذا كقوله : (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) [الأنعام : 28]